

# معالم الرحمة
# في عقيدة الإيمان باليوم الآخر

إعداد:

د. عبدالسلام محسن يوسف

أستاذ التفسير المساعد في جامعة آرتكلو

ماردين (تركيا)







المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام



# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على عباده بأن عّرفهم على ذاته وصفاته، وذلك من خلال وحيه لأنبيائه ورسله من عهد آدم وإلى آخرهم نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. لقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون بما فيه الإنسان، خلقه محدود العلم ضعيف الإدراك، ولذلك فإنه سبحانه وتعالى لم يخلقهم عبثًا ولم يتركهم في غيابات الجهل والتيه، بل أرشدهم إلى طريق الخير وأخبرهم أن ما يفكرون فيه، وهي الأسئلة الكبرى عند الإنسان: (من أنا؟ ولماذا؟ وإلى أين، وكيف؟) هذه الأسئلة التي تشغل بال الإنسان، قد أجاب -الله- عنها في وحيه، وهي رحمة وأي رحمة من الله لعباده، ولايستطيع العقل المجرد عن تأييد الوحي أن يعطي أي تفسير أو أن يصل إلى أيّ نتيجة. ومما أخبرنا سبحانه وتعالى عن الغيب المستقبلي؛ رحمةً بنا: اليوم الآخر. واليوم الآخر عقيدة الإنسان المؤمن، وهو أصل من أصول عقيدته الكبرى.

ولذا أردت في هذا البحث أن أقف عند معالم رحمة الله بعباده من خلال هذا اليوم، كيف تكون هذه الرحمة ومتى؟




وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقسم إلى مقدمةٍ وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.



ففي المقدمة بينت أهمية الموضوع -كما سبق- والخطة الموضوعة.

وفي التمهيد: عرفت بيوم القيامة، وسبيل الإيمان به، ومكانته عند المسلم.

ثم كان الفصل الأول عن: منهج القرآن في إثبات يوم القيامة والاستدلال عليه، أي: كيف دعا إلى الإيمان به، والذي هو معلمٌ مهمٌّ من معالم رحمته، من خلال مباحث عدة وهي:



١. النشأة الأولى دليل على النشأة الآخرة.

٢. تنزيه الله عن العبث في الخلق.

٣. القدرة على خلق السموات والأرض دليل على قدرة إحياء الموتى.

٤. إحياء الأرض دليل على إحياء الموتى.

٥. قصص قصها الله علينا في القرآن الكريم ومضمونها: البعث بعد الموت.

٦. إقسام الله سبحانه وتعالى في القرآن على وقوع البعث.

وأماالفصل الثاني فقد قدمته بتمهيدٍ عن كيفية الحساب يوم القيامة، عن ماهية الميزان وحقيقته، من خلال أقوال العلماء، وكيفية توزيع الحسنات والسيئات، ثم خصصته للحديث عن تجليات رحمة الله في هذا اليوم من خلال عدة مباحث وهي:

١. مضاعفة الحسنات دون السيئات.

٢. جزاء الصوم.

٣. جزاء الصبر.




٤. الشفاعة.

٥. أهل الأعراف.





٦. رفع الذرية وإلحاقهم بآبائهم.

٧. دخول آخر أهل الجنة الجنة.

٨. قول لا إله إلا الله، ثم ختمت البحث ببعض الأعمال الأخرى، والتي تثقل ميزان الحسنات يوم القيامة.

ثم كان الفصل الثالث: وقد خصصته بالحديث عن أثر هذه العقيدة في سلوك الأفراد والجماعات، وختمته بذكر بعض الصور والأحوال في ذلك اليوم لأهل النار ولأهل الجنة لتكتمل الصورة أكثر.

وأخيرًا فقد ختمت البحث بتدوين أبرز ما وصلت إليه من استنتاج واستخلاص تبرز أهمية الموضوع وتؤكد على خطورته في الحياة.





# التمهيد

## يوم القيامة: مفهومه، وسبيل الإيمان به، ومكانته عند المسلم:

### مفهومه:

هو اليوم الذي يحيي الله فيه جميع الخلائق، في أرض المحشر، ليتم من بعد ذلك محاسبتهم على ما عملوا في الحياة الدنيا[1]. وهو المعاد الجسماني، وإحياء العباد بعد أن يأمر الله سبحانه وتعالى الملك إسرافيل بالنفخ في الصور.

### سبيل الإيمان به:

لا شك أن مما مّيز به الله سبحانه وتعالى الإنسان أن أكرمه بطاقة العقل التي تميز بين الأشياء، ضارّها ونافعها، ولكن هذا العقل بحد ذاته يحتاج -في سبيل أداء مهمته- إلى من ينور له الطريق في عملية الإدراك والتحليل. وهذا يتعلق بماهية القضية المراد تحليلها ومعرفتها، فإن كانت مادةً محسوسةً، خاضعة لشيءٍ من الحواس فإنه سوف يُخضع للتجربة والمشاهدة، وهو ما يسمى بالتجربة الحسية. وأما إن كانت القضية خارج المحسوس، لا تخضع لأي من الحواس، وهو ما يصطلح عليه بما وراء الطبيعة، والتي نسميها الغيبيات، فإن العقل لا يستقل بنفسه في سبيل معرفته، بل لابد من أمر آخر، وهذا هو الوحي أو الخبر الصادق. ولأن يوم القيامة من




(١) انظر: القيامة الكبرى. عمر سليمان الأشقر ص ٥١.





الغيبيات المستقبلية التي لا تخضع لمعايير التجربة الحسية، فإنه لا غنى للاستماع إلى هذا الخبر، وهو القرآن الكريم الذي وصلَنا متواترًا، لا ريب في صدقه. ومن رحمة الله ﷻ أن أودع في الفطرة البشرية القبول لهذا الأمر والاستعداد للإيمان به، والإيمان بالغيب عامةً، بخلاف الحيوان الذي يعيش في حدود ماتدركه الحواس فحسب، وهو من تكريم الله لجميع البشر. وقد تحدث الشهرستاني عن صنفين من معطلة العرب، صنف أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني، وهؤلاء هم الدهريون، وكان شعارهم: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع. وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع، لكنهم أنكروا البعث، ولذا فإن الوحي السماوي يريح الإنسان ويضعه على الطريق الصحيح، وعليه... فإن من يعيّر على المسلمين ويعيّب عليهم هذا المعتقد فإنما هم من صنف تلك الحيوانات التي تعيش في حدود ما تدركه حواسها! ولم يعملوا عقولهم وقلوبهم التي وهبهم الله ﷻ إياها، من أمثال الدهريين -قديمًا- والشيوعيين والماركسيين والملحدين عامةً. ويوم القيامة من أخطر وأعظم الغيبيات التي أخبرنا بها القرآن الكريم، لأن عليه مدار وجود الإنسان كله، فحياته اليوم مع ما فيها من عمل مستمر تمهيد واستعداد لذلك اليوم الذي يختلف عن مألوف الإنسان وتصوراته.

ومن أجل هذا فإن الخطاب الإلهي يظل يخبرنا عنه وينذرنا منه بتفننٍ عجيبٍ في النظم والأسلوب.

**مكانته عند المسلم:**

عقيدتنا فيه هو إيماننا بكل ما جاء في الكتاب والسنة مما يكون في ذلك اليوم، مرورًا بحياة البرزخ والبعث والنشور والميزان... ثم الجنة أو النار[١]. يقول الطحاوي: ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة. ويقول

(١) نظر: الإيمان. محمد نعيم ياسين. ص ٨٩






شارحه: والإيمان بالبعث مما أجمع عليه أهل الملل الثلاث: المسلمون واليهود والنصارى، ومما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وليس فيه اختلاف بين فرق الأمة، ولا ينكر بعث الأجساد إلا الفلاسفة والملاحدة(١).

وهو ركن من أركان الإيمان، بل من أهم الأركان، وقد بلغ اهتمام القرآن به أن عطفه على الإيمان بالله مباشرةً وفي مواطن عدة في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨](٢). وقد ورد ذكره في المرتبة الخامسة في الحديث المشهور المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: (يا محمد أخبرني عن الإسلام)، فقال له: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا)، قال: (صدقت)، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: (أخبرني عن الإيمان) قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، قال: (صدقت) قال: (فأخبرني عن الإحسان)، قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، قال: (فأخبرني عن الساعة)، قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)، قال: (فأخبرني عن أماراتها)، قال: (أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى

(١) ص٣٠١ الشارح عبدالرحمن بن ناصر البراك إعداد عبدالرحمن السديس، وينظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٥٠ والجواب الصحيح ٣/ ٢٨١.

(٢) انظر: مدى عناية القرآن واهتمامه باليوم الآخر. د. مصطفى مسلم ود. فتحي محمد الزغبي. موقع الألوكة.






الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان) ثم انطلق فلبث مليًا، ثم قال: (يا عمر، أتدري من السائل؟)، قلت: (الله ورسوله أعلم)، قال: (فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم)[١].

وقد كان العلماء الأقدمون يجعلونه ثالث الأصول في العقيدة الإسلامية عندما يقولون: الأصول الثلاثة، ويقصدون بذلك (الإلهيات والنبوات والمعاد)[٢].

وقد تعددت أسماء هذا اليوم، وجمعها الغزالي ثم أوصلها القرطبي إلى ثمانين اسمًا، كما يقول ابن حجر العسقلاني.[٣] ويرجع تعدد الأسماء هذه إلى اختلاف ما سيق فيه من الأهوال والمواقف والأحداث، فالقيامة مثلًا؛ لقيام الناس من قبورهم، والبعث؛ لما سيقع فيه من بعث الناس من قبورهم، والحساب؛ لما يقع فيه من حساب... وهكذا. وهذا يعني أن الله ﷻ -كما يقول الغزالي- قد وصف بعض دواهيها، وأكثر من أساميها؛ لنقف بكثرة هذه الأسماء على كثرة المعاني، فليس التعداد هنا تكرارًا، بل تنبيهٌ لبصائر ذوي التمييز ولأولي الألباب[٤]. يقول القرطبي: وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه، وهذا مهيع كلام العرب[٥].

وزيادةً في رحمة الله ولطفه بعباده أنه لم يأمر الناس في وحيه أن يؤمنوا بهذا اليوم إيمانًا نظريًا فحسب بل دعاهم إلى التأمل فيما حولهم وفي أنفسهم وإلى محاكمة عقولهم، ليتفكروا كثيرًا ثم يعلموا علمًا يقينيًا أن هذا اليوم -لابد- آتٍ لا ريب فيه. وهذا ما سيتضح في ما يلي.



(١) البخاري، كتاب: الإيمان، باب سؤال جبريل ١/ ١٨ (٥)، مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان والإحسان ١/ ٨ (٣٦).
(٢) انظر مثلًا: تفسير الفخر الرازي فهو يكثر من ذكر هذا المصطلح.
(٣) فتح الباري ١١/ ٣٩٦.
(٤) راجع إحياء علوم الدين ٥/٢٠٥.
(٥) التذكرة ص ٢١٤.








# الفصل الأول

# كيف دعا القرآن الكريم إلى الإيمان باليوم الآخر، وكيف استدل عليه (منهجه)

**تمهيد:** لقد اهتم القرآن الكريم اهتمامًا كبيرًا بهذا اليوم والإيمان به، ولأنه أمرٌ غيبي مستقبلي، لم يطّلع عليه أحد من خلقه، فإن مسألة الإيمان به كانت تحتاج إلى شيء من التفسير والتوضيح فقد أخبرنا ربنا ﷻ قصص أقوام -على مر التاريخ- لم يؤمنوا بهذا اليوم، متذرّعين بحجج واهيةٍ متعددة من مثل: عدم رؤيته، أو استحالته عقلًا، أو الاكتفاء بعقيدة سلفهم من الآباء والأجداد، وهو الإنكار... لذا خاطب ﷻ الناس -في خطابه الأخير لهم- بأن أولئك الناس قد ضلوا وأضلوا، وأن قضية ذلك اليوم ليست من المستحيلات العقلية، بل هو كائن لا محالة، وذلك من خلال تمثيله ذلك اليوم بما يرونه ويشاهدونه من حولهم وهي تخاطب أفئدتهم السليمة، إن استسلموا لنداء الفطرة... لنداء العقل. وهذا -كما نرى- رحمةٌ عظيمةٌ من الله ﷻ لخلقه، فكم من الأشياء مما حولنا هي دالةٌ عليه وتوصلنا إلى الإيمان به، وعندئذٍ فلا مناص من الاستعداد له والتهيؤ لاستقباله.

## الدليل الأول: تنزيه الله عن العبث في الخلق:

لو تأمل الإنسان -أي إنسان- في ما حوله ورأى بأم عينه ما يحدث في الحياة لقاده تفكيره وتأمله هذا إلى الإيمان بيومٍ آخر، وذلك عندما يرى

ظالمين ومظلومين، وقاتلين ومقتولين، وسارقين ومسروقين... فهل يُعقل أن يموت الطرفان المتقابلان دون وجود أي شكل من أشكال القصاص والعدالة؟ وفي هذا يقول ربنا ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون:١١٥] وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦]. ولذا ذهب ابن قيم الجوزية إلى أن دليل اليوم الآخر عقليٌّ بخلاف الآخرين الذين قالوا بأنه نقليٌّ. ولم يذهب ابن القيم هذا المذهب إلا إيمانه بان كمال الخلق يدل على كمال التصرف[1].



**الدليل الثاني: النشأة الأولى دليل على النشأة الآخرة:**

وهذا خطاب للعقول كي تفكر قبل أن تصدرحكمًا لايستند إلا على الأهواء، فكما أنه ﷻ أنشأهم أول مرة من العدم، ولم يكن عسيرًا عليه ولا محالًا، فإنه قادرعلى الإنشاء ثانيةً، والذين ينكرون هم الذين يرون الصورة المادية فتقف بينهم وبين تصور الحياة الآخرة، ولا يدري أحدهم أين كانت تلك الخلايا والذرات التي تكونت فيها هياكلهم الأولى[2]. يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:٤٩-٥١]، ويقول: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨-٧٩]. أي -كما يقول ابن كثير-: يعلم العظائم في سائر أقطار الأرض وأرجائها[3]. ثم استشهد بحديث يقول: إن رجلًا حضره الموت، فلما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا جزلًا ثم أوقدوا فيه نارًا،

(١) قال: لهذا كان من الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن كمال الرب ﷻ وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه. الفوائد ص ٧.

(٢) انظر: اليوم الآخر في ظلال القرآن، إعداد أحمد فائز.

(٣) التفسير العظيم ٤/ ٥٩٤.





حتى إذا أكلت لحمي، وخلصت إلى عظمي فامتحشت، فخذوها فدقوها، فذروها في اليم. ففعلوا.

فجمعه الله إليه فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك. فقال عقبة بن عمرو: وأنا سمعته يقول ذلك، فغفر الله له.

## الدليل الثالث: القدرة على خلق السموات والأرض دليل على قدرة الإحياء والبعث:

وهنا -أيضًا- دعوة من رب السموات والأرض لاحتكام العقل والتحرر من ربقة التقليد، وإزالة الغشاوة عن العيون، فالعقل يقول: إن القادر على شيء عظيم وكبير قادر على ما دونه بطريقة أولى، فكيف يُنكر على من خلق السموات والأرض بأن يخلق الإنسان مرةً ثانيةً ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الاحقاف:٣٣]، وقوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧].

## الدليل الرابع: إحياء الأرض دليل على إحياء الموتى:

وهذا أيضًا دليل علمي يخاطب العقول، فالله سبحانه وتعالى قد بسّط لهم عقيدة اليوم الآخر، فهم يرون رؤيا العين كيف تكون الأرض ميتة، وذلك إذا كانت جرداء لا نبت فيها ولازرع، فالتشبيه بين الاثنين فيها مماثلة عجيبة، أقصد بين إعادة الأجسام بإنباتها من التراب بعد إنزال الماءقبيل النفخ في الصور، وبين إنبات النبات بعد نزول الماء من السماء، ونحن نعلم أن النبات يتكون من بذورٍ صغيرةٍ تكون في الأرض ساكنةً هامدةً، فإذا نزل عليها الماء تحركت الحياة فيها وضربت بجذورها في الأرض، وبسقت بسوقها إلى السماء فإذا هي نبتةٌ مكتملةٌ خضراء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً






﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥].
وهذا دليل آخرعلى قدرته ﷻ على إحياء الموتى، كما يقول ابن كثير[1].

**الدليل الخامس: قصص في القرآن قصها الله علينا ومضمونها البعث بعد الموت:**

وهذه القصص أوردها الله ﷻ رحمةً بالعباد عندما كانوا ينكرون هذه العقيدة ويستغربونها، فكان الله يريهم كيف يحيي الموتى في الحياة الدنيا حتى لا تبقى حجة للناس، أو يزدادوا إيمانًا ويطمئنوا.

**ومن هذه القصص:**

- موت أهل الكهف ثلاثة قرون، ثم إحياؤهم ورؤية الناس لهم، ثم خلّد الله ذكر القصة في القرآن الكريم، وكذلك ذكرها الله ﷻ في الكتب السابقة. والدليل أن اليهود كانوا يعلمونها، وأرادوا أن يمتحنوا رسول الله ﷺ عندما سألوه. يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]. يقول الطبري: يقول تعالى ذكره: وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا، ليتساءلوا بينهم، فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرةً، وبحسن دفاع الله عن أوليائه (وكذلِكَ أعْثَرْنا عليْهِم) يقول: كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخرالذين كانوا في شكٍ من قدرة الله على إحياء الموتى، وفي مِرية من إنشاء أجسام خلقه، كهيئتهم يوم قبضهم بعد البلى، فيعلموا أنَّ وعد الله حقٌّ، ويوقنوا أن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها. ثم قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل[2].

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٣٤٩.
(٢) جامع البيان ١٧/ ٦٣٩.







- موت بني إسرائيل في عهد موسى: يقول الله ﷻ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥-٥٦]، وذلك عندما تجرأوا في معاداتهم لموسى واشتراطهم عليه في إيمانهم بأن يروا ربهم. يقول القرطبي: قوله تعالى: (ثم بعثناكم من بعد موتكم) أي: أحييناكم، قال قتادة: ماتوا وذهبت أرواحهم ثم رُدوا لاستيفاء آجالهم. قال النحاس: وهذا احتجاج على مَن لم يؤمن بالبعث من قريش، واحتجاج على أهل الكتاب، إذ أُخبروا بهذا. والمعنى (لعلكم تشكرون) ما فعل بكم من البعث بعد الموت(١).

- موت الرجل الإسرائيلي (العزير) المار على القرية: وقد ورد ذكرها في سورة البقرة: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩]. وفي هذه الجمل من الفوائد الخالدة أن الله بعد أن أراه الآية التي تكون حجة خاصة لمن رآها نبّهه وسائر العباد إلى الحجة العامة التي يحصل الاحتجاج بها على البعث في كل زمان ومكان، ففيها آيتان خاصة وعامة، هما كيفية التكوين والاستدلال على سهولة البعث على الله.

- طلب إبراهيم عليه السلام من الله ﷻ رؤية إحياء الموتى؛ ليطمئن قلبه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ



(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠٤.






جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].
وقد تعددت الروايات التي تحكي سبب نزول إبراهيم لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، غير أنها جميعًا تؤكد رغبة سيدنا إبراهيم في رؤيته إحياء الموتى، وليس الخبر كالمعاينة.

**الدليل السادس: إقسام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على وقوع البعث مرارًا في القرآن الكريم:**

وقد أكثر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من ذكر يوم القيامة وأنه حق لا ريب فيه آت. فنراه يقسم بأشياء، والله أعلم بمقامها عنده، ليكون جواب القسم هو: أن يوم البعث كائن. فمثلًا يقول في صدر سورة المرسلات: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [المرسلات: ١-٧]. وفي سورة الطور: ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ١-٧].





# الفصل الثاني
# تجليات الرحمة في يوم القيامة

## تمهيد: كيف تتم المحاسبة:

باديً ذي بدء ينبغي معرفة الميزان الذي سيتم من خلاله محاسبة العباد يوم القيامة، فنقول: إن ميزان الله سبحانه وتعالى الذي سيحاسب الناس من خلاله حسيٌّ حسب ظاهر القرآن، وأنكر ذلك أهلُ البدع، وقالوا: إنها كنايةٌ عن عدل الله. لكن الذي اختلف عليه الجمهور هو هيئة الميزان وشكله لأنه لم يرد فيه نص صريح صحيح، غيرأنهم اتفقوا أنه ميزان حسي، له كفتان ولسان، لقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣] ولحديث البطاقة -وسيأتي بتمامه- وفيه: (فطاشت السجلات وثقلت البطاقة).

يقول القرطبي -رادًّا على من تأوَّله وأنه من ضرب المثل-: (وهذا مجاز وليس بشيء، وإن كان شائعًا في اللغة؛ للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ووصفه بكفين ولسان، وأن كل كفة فيها طباق السموات والأرض)(١). ويقول أبو الحسن الأشعري -في تعريفه للميزان-: (له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى السيئات فمن ثقلت ميزان سيئاته دخل




(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٧٢٣.



النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل عليه فأدخله الجنة) [(١)]. وهو الذي رجحه المفسر الطبري بعد أن ساق عدة روايات، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨][(٢)]. وقد عقد ابن كثير عند تفسير هذه الآية فصلًا قال: والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل: الأعمال وإن كانت أعراضًا، إلا أن الله ﷻ يقلبها يوم القيامة أجساما[(٣)]. وقيل: يوزن صاحب العمل، كما في الحديث: (يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين، فلا يزن عند الله جناح بعوضة) ثم قرأ: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥].

وأما كيفية محاسبة الله للعباد، فقد جاءت الأخبار الصحيحة التي تثبت هذا، والتي لا يمكن القول إلا من خلالها. إن هنالك أصولًا وقواعد سوف يُحاسب العبد من خلالها، وليس الأمر مجهولًا، وهو أمر من رحمة الله بعباده؛ كي يستعدوا لذلك اليوم ولا يغفلوا عنه ويبقوا في تِيههم، فمن يؤمن بالله ﷻ خالقًا، عليه أن يؤمن بما جاء من عنده، بكل ما جاء من عنده. ومما أخبرنا ربنا ﷻ أن في هذا اليوم سينقسم الناس فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، وأنه قبل انقسام الناس إلى فريقين فإن أمورًا معينة سوف تسبق هذا التصنيف، وهي بحد ذاتها منحةٌ ربانيةٌ للعبد دون مقابل، ولم يبق للإنسان إلا السعي الصادق، لأن يتجنب دائرة الضلالة والكفر، ومن هذه الأمور:

- كيفية توزيع الحسنات والسيئات: لقد أخبرنا الله ﷻ في غير ما موضع من كتابه الكريم أن الإنسان سوف يُحاسب على ما عمل من خير أو شرٍّ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

(١) مقالات الإسلاميين ص ٤٧٢.
(٢) جامع البيان ١٢/ ٣١١.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٥٠.







يَـرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، وقال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم:٣٩-٤٠]. وهذا مقتضى العدل، غير أنه ﷻ رحيمٌ بخلقه رؤوفٌ بهم، لم يخلقهم ليعذبهم في الآخرة، بل لن يعذب إلا من أبى وتجبر وعاند، وأما الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا فله البشرى بالتجاوز، وأما الذين اجتنبوا الكبائر إلا اللمم فهنيئًا لهم الجنة.

إذن كيف تتجلى رحمة الله بعباده جميعًا:

## أولًا: مضاعفة الحسنات:

إن العدل يعني أن تكون الحسنة بمثلها والسيئة بمثلها، غير أنه ﷻ لا يعامل الناس يوم القيامة إلا بمقتضى رحمته وإحسانه، فهو يضاعف الحسنات أضعافًا كثيرةً، وأقلها عشرة. ولا يجزي بالسيئة إلا مثلها، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠]، وليس هذا فحسب، بل يتعدى إحسانه ﷻ ورحمته هذا، وهوأن مَن همّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبت له حسنةٌ، ومن همّ بسيئةٍ ثم أدركته مخافة الله كتبت له حسنة. روى الطبري روايةً عن قتادة قال: قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: الأعمال ستة: مُوجِبة ومُوجِبة، ومُضْعِفة ومُضْعِفة، ومِثْل ومِثْل. فأما الموجبتان: فمن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقي الله مشركًا به دخل النار. وأما المضعف والمضعف: فنفقة المؤمن في سبيل الله سبع مئة ضعف ونفقته على أهل بيته عشر أمثالها. وأما مثل ومثل: فإذا همّ العبد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، وإذا هم بسيئة ثم عملها كتبت عليه سيئة [1]. وعن ابن عباسٍ عن النبي ﷺ فيما

(١) جامع البيان ١٢/ ٢٧٩ (١٤٩٢١).





يرويه عن ربه: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة»(١).

قال ابن عاشور: من عادة القرآن أنَّه إذا أنذر أعقب الإنذار ببشارة لمن لا يحقّ عليه ذلك الإنذار، وإذا بَشَّر أعقب البشارة بنذارة لمن يتَّصف بضدّ ما بشر عليه، وقد جرى على ذلك ههنا: فإنَّه لمّا أنذر المؤمنين وحذرهم من التريُّثِ في اكتساب الخير، قبل أن يأتي بعض آياتِ الله القاهرة، بقوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨] فحَدّ لَهم بذلك حدًّا هو من مظهر عدله، أعقب ذلك ببشرى من مظاهر فضله وعَدله، وهي الجزاء على الحسنة بعشر أمثالها والجزاء على السيّئة بمثلها، فقوله: (من جاء بالحسنة) إلى آخره استئناف ابتدائي جرى على عرف القرآن في الانتقال بين الأغراض.

فالكلام تذييل جامع لأحوال الفريقين اللذين اقتضاهما قوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾. وهذا بيان لبعض الإجمال الذي في قوله: (لا ينفع نفسًا إيمانها) الآية، كما تقدّم آنفًا. و(جاء بالحسنة) معناه عمل الحسنة: شبه عمله الحسنة بحال المكتسب، إذ يخرج يطلب رزقًا من وجوهه أو احتطاب أو صيد فيجيء أهله بشيء. وأمثال الحسنة ثواب أمثالها، فالكلام على حذف مضاف بقرينة قوله: (فلا يُجزى إلا مثلها)، أو معناه تحسب له عشرُ حسنات مثل التي جاء بها كما في الحديث: (كتبها الله عنده عشر حسنات) ويعرف من ذلك أنّ الثّواب على نحو ذلك الحساب كما دلّ عليه قوله: (فلا يجزى إلا مثلها).

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة ١/١١٧ رقم ١٢٨.






والجزاء على الحسنة بعشرة أضعاف فضلٌ من الله، وهو جزاء غالب الحسنات، وقد زاد الله في بعض الحسنات أن ضاعفها سبع مئة ضِعْف كما في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١] فذلك خاصّ بالإنفاق في الجهاد[(١)].

ورحمةً بعباده، فإنه ﷻ قد أخبرنا على لسان نبيه ﷺ بأن هنالك أعمالًا خاصة تضاعف الأجر يوم القيامة، من مثل قراءة القرآن، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)[(٢)].

## ثانيًا: أناسٌ يُعطون الأجر بغير حساب:

يقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] إنها دعوةٌ مفتوحةٌ للعباد بأن يصبروا في الحياة الدنيا، صبرًا على طاعة الله وعبادته، وصبرًا على المحن والبلايا، وكفّ النفس عن المحرّمات، وما أكثرها في الحياة. فقد اختلف أهل العلم فيها على قولين -كما جاء في التسهيل- لابن جزي: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب هذا يحتمل وجهين أحدهما: أن الصابر يوفى أجره ولا يحاسب على أعماله، فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب، الثاني: أن أجر الصابرين بغير حصر بل أكثر من أن يحصر بعدد، أو وزن، وهذا قول الجمهور[(٣)].

(١) التحرير والتنوير ٨/ ١٩٤.
(٢) (١٩٨٣) وصححه الألباني (تخريج العقيدة الطحاوية رقم ١٣٩).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٢١٨.






## ثالثًا: جزاء الصوم:

يقول الرسول ﷺ في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به»[1]. ولذلك ذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود بـ (الصابرون) في الآية السابقة هم الصائمون.

## رابعًا: الشفاعة:

والشفاعة يوم القيامة من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى على عباده ورحمته بخلقه، وهي أنواعٌ، وقد ثبتت بالأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة:

**١. شفاعة النبي ﷺ: وهي شفاعةٌ عامةٌ وخاصةٌ:**

وأمّا العامة فهي العظمى، وتكون لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، كل الناس – كماأسلفت – فيخرجون من قبورهم لِتعرض أعمالهم بعد ذلك للمحاسبة وهي المعني بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الأسراء:٧٩] باتفاق العلماء، وذلك حين يبلغ الكرب بأهل المحشر، فيقول بعضهم: ألا تنظرون من يشفع لكم عند ربكم، فيأتون آدم فيعتذر، ويأتون نوح فيعتذر... وهكذا إلى أن يأتوا إلى محمد ﷺ، فيشفع لجميع الناس، من لدن آدم عليه السلام وإلى آخر الناس.

وقد ثبت هذا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه (... فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسولُ اللهِ، وكلَّمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى عليه السلام: إِنَّ ربِّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر

(١) البخاري، كتاب الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شُتم ٣/٢٦ (١٩٠٤)، ومسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام ٢/٨٠٦ (١١٥١).








له ذنبًا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتوني فيقولون: يا محمد أَنت رسولُ اللّهِ، وخاتم الأنبياء وغفر اللّهُ لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، اشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فأَنْطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربِّي، ثم يفتح اللّه عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي. ثم قال: يا محمد ارفعْ رأسك سلْ تُعْطه اشفع تشفَّعْ فأَرفع رأسي، فأقول: يا ربِّ أُمَّتي أُمَّتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أُمَّتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إِنَّ مابين المصراعين من مصاريع الجنة لَكَما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى)[(١)].

وأما الشفاعة الخاصة، فهي لأهل الإيمان من أمته، من مات لا يشرك باللّه شيئًا، قال ﷺ -كما في الصحيحين- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (لكل نبي دعوةٌ مستجابةٌ فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء اللّه تعالى من مات من أمتي لا يشرك باللّه شيئًا)[(٢)].

وكذلك ثبت في الصحيحين شفاعته لعمه أبي طالب، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذُكر عنده عمه - فقال: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضحضاح من النار، يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه)[(٣)]. وهذا لا يتناقض مع قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[المدثر:٤٨]

(١) البخاري كتاب التفسيرباب قوله (ذرية من حملنا مع نوح) ٦/ ٨٤ (٤٧١٢) ومسلم كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة ١/ ٨٤ (١٩٤)

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة ٨/ ٦٧ (٦٣٠٤) ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ١/ ١٨٨ (١٩٨، ١٩٩).

(٣) البخاري، كتاب: الرقاق، باب صفة الجنة والنار٨/ ١١٦ (٦٥٦٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب التخفيف عنه بسببه ١/ ١٩٥ (٣٦٠).

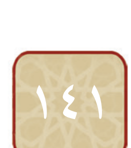





فهذه عامةٌ، وخبر شفاعته لأبي طالب خاصة، أو أنه يقصد التخفيف، ولا يقصد الخلاص من النار.

**٢. شفاعة الشهيد:**

وهو الذي قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، في أرض المعركة، فقاتل حتى قُتل مقبلًا غير مدبرٍ، فعن المقدام ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دفعةٍ من دمه، ويرى مقعده من الجنة ويُحلّى حُلّة الإيمان، ويُزوَّج ثنتين وسبعين من حور العين، ويُجار من عذاب القبر،



ويُؤَمَّن يوم الفزع الأكبر، ويضع الله على رأسه تاج الوقار، الياقوتة خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين من أهل بيته). [1]

**خامسًا: أهل الأعراف:**

يقول الله ﷻ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٦، ٤٧]وقد ذهب أكثر المفسرين من الصحابة والتابعين إلى أن مصير أصحاب الأعراف هو الجنة، بفضل الله ورحمته، وهو الأقرب إلى ظاهر القرآن الكريم، وقد ثبت عن حذيفة بن اليمان ﵁ قال: (أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء النار، قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فبينما هم كذلك فيها، إذ اطلع عليهم ربك قال: قوموا ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم)[2]. ومثل هذا الكلام لا

(١) رواه الترمذي ٣/٢٣٩ رقم ١٦٦٣، وقال: حديث صحيح غريب، وأحمد في مسنده ٤/١٣١ وغيرهما.
(٢) رواه الطبري ١٢/٤٥٢ رقم ١٤٦٨٥.

يصدر عن اجتهاد محض من صحابي جليل مثل حذيفة، والراجح أنه سمع شيئًا في الموضوع عن رسول الله ﷺ.

## سادسًا: رفع الذرية:

وهو أنه سبحانه وتعالى يتفضل على عباده المؤمنين، فيكرم الأبناء لصلاح الآباء، كي يجتمعوا -جميعًا- يوم القيامة، وفي ذلك منتهى السرور والحبور. وهذا لا يشمل الأبناء الذين ماتوا على الكفر، باتفاق العلماء، وإنما الأولاد الذين كانوا دون رتبة الآباء في الأعمال الصالحة، وليس بمجرد النسب، يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾ [الرعد: ٢٣] (يقول الشوكاني: وذكر الصلاح دليل على أنه لا يدخل الجنة إلا من كان كذلك من قرابات أولئك، ولا ينفع مجرد كونه من الآباء أو الأزواج، أو الذرية بدون صلاح[١].

## سابعًا: خروج آخر أهل الجنة من النار:

وهذه رحمة عظيمة بعصاة هذه الأمة، وقد يئسوا من الخروج من النار، فتتجلى رحمة الله بهم، ويبشرهم بخروجهم من النار ودخولهم الجنة. عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، وآخر أهل النار خروجًا من النار، يؤتى برجل فيقول: سلوا عن صغار ذنوبه وأخبئوا كبارها، فيقال له: عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا، عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا، قال فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة قال: فيقول: يا رب لقد عملت أشياء ما أراها ههنا). قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه...) [٢].

وأما كيفية خروجهم منه فقد بينه رسول الله ﷺ، ففي الحديث: (إذا




(١) فتح القدير ٣/ ٩٥.
(٢) البخاري كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار ٨/ ١١٧ (٦٥٧١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: آخر أهل النار خروجًا ١/ ١٧٣ (١٨٦)



دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، يقول الله تعالى: من كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجوه، فيخرجون، قد امْتَحشوا، وعادوا حُممًا، فيُلقون في نهر الحياة فيَنبتون كما تنبت الحِبةُ في حَميْلِ السَّيلِ. وقال النبي ﷺ: ألم تروا أنها تنبت صفراءَ ملتوية)[١].

## ثامنًا: قول لا إله إلا الله:

ففي الحديث الصحيح من حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[٢]. وهذا- كما قال العلماء- إذا قالها معتقدًا بها ولم يتمكن من العمل لموتٍ أو قتلٍ، وإلا فلا يشمل كل قائلٍ.

وقد علق شيخ الإسلام على الحديث قائلًا: فهذه حال من قالها بإخلاصٍ وصدقٍ، كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجح قول صاحب البطاقة[٣]. وهو ما صرح به النبي ﷺ من رواية أبي موسى الأشعري قال: أتيتُ النبي ﷺ ومعي نفر من قومي فقال: (أبشروا وبشروا من وراءكم، إنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقًا بها دخل الجنة)[٤].

أعمال أخرى تزيد من حسنات الإنسان وتثقل ميزان الحسنات:

- الصدقة على المحتاجين: يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ

(١) البخاري، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار/٨ ١١٥ (٦٥٦٠)، ومسلم، كتاب: باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين ١/ ١٧٢ (١٨٤). وامتحشوا: احترقوا. النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٠٢ والحبة -بكسر الحاء- بزر البقول والعشب. تنبت في البراري وجوانب السيول. وجميل السيل - بفتح الحَاء وكسر الميم، ماجاء به السيل من طين أو غثاء، ومعناه محمول السيل. النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٤٤٢. والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته. شرح مسلم للنووي ٣/ ٢٢.

(٢) رواه أبو داود ٣/١٩٠ رقم ٣١١٦، وصححه الألباني، والحاكم في مستدركه ٦٧٨/١ رقم ١٨٤٢ وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

(٣) منهاج السنة ٦/ ٢١٦، ومجموع الفتاوى ١٠/ ٧٣٥.

(٤) الحديث رواه أحمد في مسنده ٤/ ٤١١.






﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة:٢٦١]. فقد بيَّن ﷻ أن مثل من ينفق ماله في سبيل الله كمثل عود القمح الذي يحمل سبع سنابل، وتحمل كل سنبلة منه مئة حبة، بمعنى أن الله ﷻ يضاعف له ما أنفقه أضعافًا مضاعفة. فمن خلال هذا المثل الحسي المشاهد والحي، يدرك المؤمن أهمية الإنفاق في سبيل الله وقيمته. وكان يمكن للخطاب القرآني أن يأتي بصيغة مجردة، كأن يقال مثلًا: أنفقوا من أموالكم، ولا تبخلوا بها، فإن أنفقتم فإن الله يعوضكم خيرًا مما أنفقتم، بيد أن مجيئه على هذا النحو المجرد لن يكون له من الأثر والتأثير الذي جاء عليه النظم القرآني. ولعلنا لا نحتاج إلى تأملٍ طويلٍ في هذين النصين، فالحديث يرشد إلى تزكية النفس، والآية الكريمة ترشد إلى العلاقة مع الآخرين، وأفضل ما يقوي العلاقة بين الناس هو الإحسان إليهم.



- الإيمان بالله والتصديق بالمرسلين: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن أهل الجنة يَتراءَون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدُّريَّ الغابر، أي النجم في الأفق من المشرق أو المغرب لِتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)[1].
- الجهاد في سبيل الله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)[2].
- التسبيح والتحميد: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الفقراء إلى النبي




(١) البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٤/ ١١٩ (٣٢٥٦)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ترائي أهل الجنة أهل الغرف ٤/ ٢١٧٧ (٢٨٣١)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله ٤/ ١٦ (٢٧٩٠).



ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم، قال: وما ذاك؟ قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، فقال رسول الله ﷺ: أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم، إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تسبِّحون وتكبّرون وتحمَدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة)[(١)].

- إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط)[(٢)].

فَعَلى مَنْ سمت همته أن يتطلع للأعلى، ويعمل لينال رضي الله، ويدخل جنة الفردوس، وها هي الأعمال قد وعد الله أهلَها بتلك الدرجات، فكم بين زهد الناس عنها وتشميرهم لها، والله أعلم. وغيرها الكثير من وجوه الخير والعمل الصالح التي تعارف عليها الناس، ومن خلال مبادئ الدين الحنيف.






(١) رواه مسلم بنحوه، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل.... ٢/ ٦٩٧ (١٠٠٦).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الطهارة، باب: إسباغ الوضوء على المكاره ١/ ٢١٩ (٢٥١).



# الفصل الثالث

# أثر عقيدة البعث والنشور على الإنسان

لا شك أن العوامل الداخلية الكامنة في أعماق نفس الإنسان، والنابعة من صميم ضميره ووجدانه هي القوة الكبرى التي توجه صاحبها وتتحكم في تصرفاته في كل حينٍ وآنٍ، سواء أكان وحيدًا في غابةٍ لا يراه أحد من الناس، أو كان في مجتمعٍ مفتحةٍ فيه العيون. وذلك لِما للنفس من سلطانٍ على الجوارح وكبحٍ لجماحها، وكي تصل النفس بصاحبها إلى هذا السمو، فإنه لابد من رياضةٍ روحيةٍ طويلةٍ وقويةٍ، وهذا ما يعزُّ على من لا يؤمن بيومٍ آخر يتم فيه الحساب والجزاء. وليس ثمة قانونٌ وضعيٌّ يستطيع أن يجعل تصرفات الإنسان مستقيمة كما يفعله الإيمان باليوم الآخر؛ وذلك لأن المؤمن بهذا اليوم يسعى ويعمل في الحياة وهو ينظرإلى الميزان الإلهي، إلى مالك ذلك اليوم، وإلى الحساب في ذلك اليوم، ولذا تراه مستقيمًا في سلوكه، ثابتًا خلال الشدائد صابرًا، شاكرًا عند النعماء ذاكرًا، فهو يعلم أن الحياة فانية، وأن الآخرة باقية، ولذا فإن كتب التراث حفيلةٌ بذكر قصص السلف الصالح، الذين كان إيمانهم بيوم القيامة قد اختلط مع الدماء التي تجري في عروقهم، وهذا هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضياعًا لخشيت أن يسألني الله عنها)[1].




(١) أورده أبو نعيم في حلية الأولياء ١/٥٣، وابن الجوزي في الطبقات، المناقب ص ١٦١ بأسانيد ترتقي به إلى درجة الحسن لغيره.



إنه أثر الإيمان والشعور بثقل المسؤولية والأمانة التي حملها الإنسان يوم أشفقت منها السموات والأرض. وأما من لا يؤمن بهذا اليوم، وما فيه من حسابٍ وجزاءٍ، فهو يحاول جاهدًا أن يحوز على كل ما تشتهيه نفسه من ملذات الحياة، يلهث وراء متعها، ولا ينظر إلى الأمور إلا من خلال منظاره الخاص، يتحرك ومبلغه من العلم دنياه الفانية وعمره الذي سينقضي عما قريب ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝٥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة:٥-٦]. هذا التصور القاصرعند الجاهليين جعلهم لا يرتدعون عن ارتكاب أي شيء من قتلٍ للنفوس البريئة إلى نهبٍ للأموال وقطعٍ للطرقات؛ لأنه لايوجد يوم للحساب والجزاء، حسب معتقدهم الباطل. وها هي اليوم قوى الشر والإجرام تعيد السيرة الأولى للجاهليين، حيث يتعاونون على الإثم والعدوان، على استعباد الشعوب ونهب خيراتهم، ولِمَ لا؟ فما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، والحياة مادة، ولا إله في الكون؟! وهنا نرى الأثر الكبير لقضية الإيمان بيوم آخر، حيث تُعرض الصحائف، وقد سُجِّل فيها كلُّ صغيرةٍ وكبيرةٍ.

وتكملةً للصورة من جميع الجوانب فلا بأس بذكر بعض الصور والأخبار عن ذلك اليوم العظيم وما يليه من حسابٍ وجزاء، وأقصد -هنا- ما يتعلق بحال أهل الجنة وأهل النار:

**حال أهل الجنة وحال أهل النار:**

من تمام رحمة الله بعباده ولطفه بهم أن ذكر لهم مما هو كائن في الجنة والنار، ما يجعلهم في حالتي الرهبة والرغبة، والإنسان عندما يعلم ما ينتظره من خيرأو شر يستعد له كل الاستعداد، فالإنسان يحب الملذات ويسعى إليها بكل ما أوتي من قوة وقدرة، ويكره الشدائد والمكاره ويسعى جاهدًا اجتنابها. ومن هنا فإن قضية الجنة والنار وما فيهما كانت






في غاية الأهمية والخطورة، فالإنسان يحب -في الدنيا- الراحة، ويحب المال والأولاد، يحب شهوته من طعام وجماع، ويكره الأعمال الشاقة، وما يضر ببدنه، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى بشّرهم في الأُولى وأنذرهم من الثانية؛ لأنه كائن لا محالة، وأنهم الآن في امتحان الدنيا وفتنتها، فمن قدم والتزم بمنهاج ربه، فاز ونجى وحاز على ما تشتهيه النفس وتلذه الأعين، وإذا ما أعرض عن داعي الله وندائه، فلا يلومنَّ إلا نفسه ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣].

من هنا فإن قضية ما سوف يراه العبد في الآخرة (الجنة أو النار) حاز على اهتمام كبير في كتاب ربنا، والآيات التي تتحدث عن نعيم الجنة وعذاب النار كثيرة جدًا، فلا تكاد تمر صفحات إلا ولهما نصيب من الذكر، وهذه رحمة من الله سبحانه وتعالى. فما الذي ورد ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من نعيم الجنة وخزي الآخرة؟

**حال أهل النار:**

وردت في حق أهل النار وما سوف يلاقونه من الويلات أقسى الصور وأشدها على النفس، ففيها مناظر مخيفة وأحوال مفزعة خارقة للمألوف والعادات؛ كي تستجيش النفوس وتتأهب الجوارح للنجاة من ذلك الهول العظيم، كهيئتهم مثلًا، ففي الصحيح الذي رفعه أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مابين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع)[1].

ولماذا يجعله الله على هذه الهيئة؟ ليزداد عذابًا وآلامًا. يقول النووي




(١) البخاري، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار ٨/ ١٤ (٦٥٥١)، ومسلم، كتاب: الجنة، باب: يدخلها الجبارون ٤ ٢١٨٩ (٢٨٥٢).



في شرحه: (هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وكل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به)[1]. وأما شرابهم فهو -كما ورد في الكتاب العزيز- الحميم والغساق، فهم يشربون الماء الساخن الذي يشوي الحلوق والبطون، والغساق الذي يغسق من أجساد المحروقين ويسيل.

وأما طعامهم فهو الزقوم، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع. وواضح أننا لا نملك في الدنيا أن ندرك طبيعة هذا العذاب في الآخرة وإنما تجيء هذه الأوصاف لتلمس في حسنا البشري أقصى ما يملك تصوره من الألم الذي يتجمع من الذل والوهن والخيبة ومن لسع النارالحامية، ومن البرد والارتواء بالماء الشديد الحرارة. وإذا جمعنا كل هذه الصور التي تكلم عنها القرآن الكريم نجد أن الألم يصل إلى أقصى ما يصل إليه حِسّنا، نسأل الله العافية.

**أحوال أهل الجنة:**

بعد أن يرى العبد ما أعده الله من أنواع العذاب والخزي لأهل النار يتوجس خيفةً وترتعد أوصاله من هول ما ينتظر العصاة المتكبرين، فيبحث عن السبيل للنجاة منه والبعد عن دائرته، وهنا يأتيه صوت ليقول: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الذاريات: ٥٠]

ويعلم أنه لا منجاة منه إلا بالالتجاء إليه. وتأتيه البشرى أنك يا عبدالله إذا ما أطعت الله والتزمت صراطه، فإن لك ثوابًا عظيمًا لم تره عيناك قط ولا سمعته آذانك ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]إنها رحمة من الله لعباده وأي رحمة! وقد وردت تفاصيل تلكم النعم جميعًا من طعامٍ وشرابٍ وحور عينٍ ولباسٍ، يتجملون به، وأعلاها رؤيته سبحانه وتعالى.

(١) شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٨٦.






ولو ذهبت أذكر كل ما ورد ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة لاستغرق مني كتابًا كاملًا، ولكن حسبنا -في هذا البحث- أن أشرنا إلى أهم ما يشوّق العبد ويدفعه للمزيد من الطاعة والبعد عن المعاصي، ولا نراه إلا رحمة من الله سبحانه وتعالى لعباده، ودعوة إلى التسابق والتنافس.

ولا شك أن الحديث عن أثر هذا اليوم وأهميته عند المؤمن يطول جدًا، ولذا سوف نذكرها بعناوينها العريضة التي تغني عن الاستطراد بإذن الله.

إن الإيمان باليوم الآخر:

١. يجعل المؤمن أمام هدفٍ منشود ومستقبلٍ أبدي، ولذا يسعى جاهدًا لتحقيق مراده.

٢. يحيي في النفس معاني عظيمةً في الحياة من مثل: الصبر والرضا والاحتساب، وهو إذ يحيي هذه المعاني فإنه يستهين بمصائب الدنيا لأنها زائلة وليست أبدية، ويداوي جراحه ببلسم الاحتساب، فالله سبحانه وتعالى بشره بأنه (إنّما يُوفّى الصَّابِرونَ أجرَهُم بغيرِ حِسابٍ) وبشره رسوله الذي لا ينطق عن الهوى بقوله (عَجبًا لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر؛ فكان خيرًا له)[1].

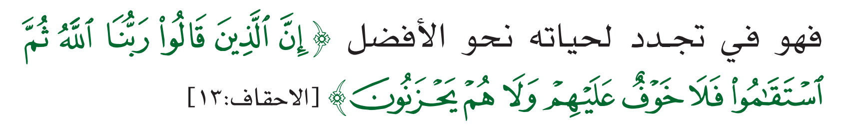
٣. يحرّر المؤمن من أسر الدنيا ومباهجها ويعتقه من ربقة العبودية للدرهم والدينار ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨].




٤. يورث للقلب طمأنينةً، فلا يقلق على غده ولا يندم على ماضيه،

(١) رواه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير ٤/ ٢٢٩٥ (٢٩٩٩).





فهو في تجدد لحياته نحو الأفضل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الاحقاف:١٣]

٥. يطهِّر القلب من أدرانها وأمراضها من حسدٍ وغلٍ وفرقة ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]

٦. يمسح على قلوب المستضعفين والمظلومين مسحة يقين، تسكن معه القلوب؛ لأنهم يتطلعون لما أعده اللّه للصابرين من نعيمٍ مقيمٍ يُنسى معه كل ضرٍ وبلاء.

٧. يجعل الظالمين يفكرون كثيرًا، فإن وجد فيهم بذرة الخير والإيمان ارتدعوا عن ظلمهم وانتبهوا لغفلتهم، وإلا فاللّه ﷻ يتوعدهم بقوله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣].

٨. يجعل المؤمن على بينةٍ من أمره، فهو بُوصَلَتُه التي يمشي على هدْيٍ منها، فيسعى للحيلولة دون التحييد عنها أو تجاوزها.





# الخاتمة

وهكذا وبعد أن عشت مع موضوع الإيمان باليوم الآخر بضعة أسابيع، والذي زادني إيمانًا به وشوقًا له، لابد لي قبل أن أنتهي، أن أذكر ما كان يجول في خاطري في أثناء الكتابة، فأقول:

إن الإيمان باليوم الآخر ركن عظيم من أركان عقيدتنا، فبقدر استعدادنا له يستقيم سلوكنا.

ولأنه أمرٌ غيبي مستقبلي، فإن القرآن الكريم قد سلك في سبيل تأكيده ووقوعه أسلوبًا علميًا رائعًا، وذلك من خلال دعوة الناس إلى التأمل فيما حولهم من مظاهر الكون، فآمن به ذوو الفطرة السليمة من أولي الألباب، وأعرض عنه من أعرض عن نداء الفطرة والعقل من الدهريين والملحدين.

وقد تجلت رحمة الله لعباده المؤمنين في ذلك اليوم من جوانب كثيرة، وكانت بمقتضى رحمته بعباده وبما هو أهله. فالحسنة بعشر أمثالها ثم تضاعف أضعافًا كثيرةً، ثم هنالك شفاعةٌ لرسولنا الكريم ﷺ، وكذلك الشفاعة للشهداء، وهنالك إلحاق للذرية بالآباء، وغيرها من معالم رحمته. سبحانه وتعالى ومن رحمة الله بعباده أن قرن هذه العقيدة بالأحكام






التشريعية، وهو تنبيه من الله للمكلف في تعاطيه للمعاملات الدنيوية، فغدًا سيقف بين يدي الله ليحاسبه على ما جنته يداه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. وقليلة تلك السور التي لم يأت فيها ذكر ليوم القيامة. إن الإيمان بالآخرة حاجز دون الصراع المحموم الذي تداس فيه القيم وتداس فيه الحرمات، بلا تحرج ولاحياء. وهذا التصور للآخرة يفيض على النفس السلام في مجال المنافسة والسباق، ويخفف السعار الذي ينطلق من الشعور بأن الحياة الدنيا -على قصرها- هي الفرصة الوحيدة والأخيرة في العمر، وبذا يبرر للنفس في سبيل هذا التنافس كل الطرق، المشروعة وغير المشروعة. وعندئذٍ تتخلى الإنسانية عن أمانتها، وتتمرد على فطرتها، وتتنكر لمسؤوليتها التي وكلها الله بها.





## فهرس المصادر والمراجع




١. الإيمان، محمد نعيم ياسين. دار عمر بن الخطاب، الاسكندرية (د. ط).

٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي. دار الفجر للتراث، القاهرة (ط/٢).

٣. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد) ت: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم. دار المنهاج/ الرياض ط١/١٤٢٥.

٤. التاريخ الكبير، البخاري، ت: هاشم الندوي وآخرين، دائرة المعارف العثمانية (د. ت).

٥. تفسير: التحرير والتنوير، ابن عاشور (محمد الطاهر)، الدار التونسية/ تونس ط ١٩٨٤.

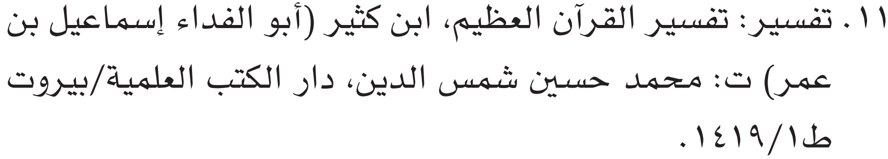
٦. تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي (أبوالقاسم محمد بن أحمد ت: عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم/بيروت ط١/١٤١٦.

٧. تفسير: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي. ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية/ القاهرة ط٢/١٣٨٤.

٨. تفسير: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري (أبو جعفر محمد ابن عبدالله) ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢٠.

٩. تفسير: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، الشوكاني (محمد بن علي) دار ابن كثير/ دمشق ط١/١٤١٤.

١٠. تفسير معالم التنزيل، البغوي (الحسين بن مسعود) ت: محمد عبدالله النمر وآخرين، دار طيبة النشر، ط٤/١٤١٧.





١١. تفسير: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر) ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية/بيروت ط١/١٤١٩.

١٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين) ت: علي بن حسن وآخرين، دار العاصمة/ السعودية ط٢/١٤١٩.

١٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم (أحمد بن عبدالله)، نشر دار السعادة/ محافظة مصر ط/١٣٩٤

١٤. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ط٢/١٤١١.

١٥. ركائز الإيمان، محمد قطب، دار الشروق/ القاهرة ط١٤٢٢.

١٦. سنن أبي داود (سليمان بن الأشعث) ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/بيروت (د.ت).

١٧. سنن ابن ماجه (أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني) ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية/فيصل عيسى البابي الحلبي (د.ت).

١٨. سنن الترمذي (محمد بن عيسى) ت: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي/بيروت ط١٩٩٨.

١٩. شرح صحيح مسلم (المنهاج)، النووي (أبو زكريا) دار إحياء التراث العربي/بيروت ط٢/١٣٩٢.

٢٠. شعب الإيمان، البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين)، ت: عبدالعلي حامد، مكتبة الرشد/الرياض ط١/١٤٢٣.

٢١. صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني (أبو عبدالرحمن محمد ابن ناصر الدين)، نشر المكتب الإسلامي (د.ت).

٢٢. صحيح البخاري (محمد بن إسماعيل) وهو (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه) ت: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١/١٤٢٢.

٢٣. صحيح مسلم (بن حجاج النيسابوري) ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دارإحياء التراث العربي/بيروت (د. ت).

٢٤. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي)، اعتنى به محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة/بيروت ط١٣٧٩.

٢٥. الفوائد، ابن القيم (محمد بن أبي بكر)، دار الكتب العلمية/بيروت، ط٢/١٣٩٢.

٢٦. القيامة الكبرى. د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس.

٢٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي (علي بن أبي بكر) ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي/القاهرة ط١٤١٤.

٢٨. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ت: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد ط ١٤١٦.

٢٩. مدى عناية القرآن واهتمامه باليوم الآخر/ د. مصطفى مسلم، ود. محمد فتحي الزغبي، موقع الألوكة.

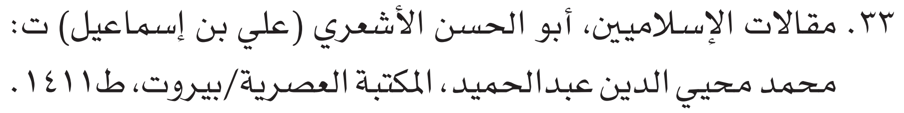
٣٠. المستدرك على ما في الصحيحين، الحاكم النيسابوري (محمد بن عبدالله) ت: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية/بيروت ط١/١٤١١.

٣١. مسند أحمد بن حنبل (أبو عبدالله) ت: شعيب الأرناؤوط وآخرين. مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢١.

٣٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري (أبوالسعادات محمد بن محمد)، ت: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية/بيروت ط١٣٩٩.





٣٣. مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري (علي بن إسماعيل) ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/بيروت، ط١٤١١.

٣٤. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ابن تيمية ت: محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ط١/١٤٠٦.

٣٥. اليوم الآخر في ظلال القرآن، إعداد أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، ط١٧/١٤١٤.



